

من الحكايات الشعبية ، جرى جمعها بطريقة مباشرة من الرواة . وهي في حوالي ٨٠ صفحة تطع كبير . هذا القسم بالغ الاهمية ، لانه يجمع النصوص كما هي دون تحوير او تعديل ، ويسمح بذلك للباحثين بمتابعة دراسة هذا الموضوع انطلاقا من معطيات كتاب نمر سرحان .

ان اهمية هذا الكتاب تدفعنا الى طرح ثلاث مسائل :

١ - يقدم المنهج الوظيفي ، بعض التفسيرات الاولية ، استنادا الى الوظيفة المفترضة للحكاية الشعبية . لكن تصور هذا المنهج يبدو واضحا ، حين نحاول دراسة الحكاية الشعبية بوصفها لحظة في تطور الوعي . اي ينبغي دراسة تطور الحكاية الشعبية - تاريخيا - وربط هذا التطور بنويا بالوعي الشعبي ، او غيبا يسمى العناصر الديمقراطية في الثقافة الشعبية . لا تهدف هذه الملاحظة الى التقليل من قيمة الجهود التحليلي الممتاز الذي قام به نمر سرحان ، لكنها تشير الى ضرورة متابعة هذا النوع من الدراسات على قاعدة منهجية متقدمة .

٢ - كذلك يظهر تساؤل حول مدى فلسطينية الحكاية الشعبية . فالظاهر ان اغلب الحكايات الشعبية التي جعل تجميعها داخل البيئة الفلسطينية منتشرة في سوريا ولبنان . فما هي الفروق الصغيرة او الكبيرة التي تميز الحكاية الفلسطينية ؟ هل هي فروق في الانماط بشكل كامل ام هي مجرد فروق في الواقعة ؟ ان اهمية هذا السؤال كبيرة . ونحن لا نقول ان مهمة سرحان في كتابة هذا هو الاجابة عليه . لكنه سؤال لا بد وان يواجه اي تطوير لهذا الكتاب ، باتجاه دراسات اكثر عينية للحكاية الشعبية .

٣ - اما المسألة الثالثة البالغة الاهمية ، فهي ان كتاب سرحان لا يسد فقط نقصا في المكتبة العربية ، لكنه يستطيع بالقضية التي طرحها ان يلعب دورا هاما داخل الادب الفلسطيني والعربي . فاستعمال أسلوب الحكاية الشعبية بدأ في الرواية الفلسطينية مع اميل حبيبي في « سداسية الايام الستة » وهو قادر على احياء اشكال لا حصر لها يستطيع الادب المناضل الاستفادة من « عناصرها الديمقراطية » في تطوير اشكاليته .

٢ - الجن ؛ في المعتقد الشعبي انها مخلوقات سبقت خلق آدم .

٣ - السحر : الميثوث في ثنايا الحكاية الشعبية والذي يشير الى الخوارق والى الخيال الشعبي .

ج - المرأة : تنظر الحكاية الشعبية الى المرأة أساسا من زاوية الجنس . فهي اسيرة تركيبها الطبيعي . فالمرأة تخضع للرجل ، لذلك نجد في الكثير من الحكايات الشعبية تصص ضرب النساء . ثم يقوم المؤلف برد ظاهرة شيوع تصص الثقافس بين النساء على الرجل الى كون الرجل هو المنتج الوحيد في المجتمع . ثم يتوقف عند ظاهرة الام التي تبرز في اغلب القصص الشعبية اما حنونة تعطف على بنيتها . كما تظهر في المقابل بشكل امراة متحكمة لا يههما سوى سعادتها الشخصية . وتصور الحكايات المعجوز بأنها امراة شريرة ، لانها تحاول فرض سيطرتها على ابنها وزوجته .

وبعد هذه الظاهرات الثلاث ، يتوقف المؤلف عند ثلاثة انماط من الحكاية الشعبية :

١ - الحكاية المرحجة التي هي احدوة تروي حكاية نادرة او سلسلة من النوادر وهي متعددة الاهداف : تسري على سامعيها ، انتقاد الحاكم الظالم ، وعظ ديني ، سخرية مجردة وانتقاد بعض الامانات الاجتماعية .

٢ - حكاية الحيوان وهي حكايات قصيرة كذلك ، ترتكز على حوارات الحيوانات ، لها مغزى تعليمي غالب ، او تقوم بتفسير بعض الظاهرات الطبيعية في عالم الحيوان ، كما تشرح ظاهرات معروفة كالعداوة بين الكلب والقط مثلا ، وفي بعضها ترمز الحيوانات للانسان .

٣ - الارث الاسطوري ، لا يوجد آلهة متعددة في الارث الاسطوري الفلسطيني ، لذلك هناك حكايات اسطورية ترتكز على الانبياء والاولياء الصالحين . وهي تشمل ابناء الديانات الثلاث : اليهودية والمسيحية والاسلام . ويرى المؤلف وظيفية الحكاية الاسطورية بأنه « يظهر انه قد انبثق عن الوجدان الشعبي وبتأثير معتقدات دينية رسمية حكايات تعكس معتقدات شعبية توضح ذلك المعتقد الديني القدر » .

اما القسم الاخر من الكتاب فهو مجموعة كبيرة